

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

أَهْلُ الْكَهْفِ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقِصَصُ الدِّيْنِيّ

أَهْلُ الْكَهْفِ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصير
٣ شارع كامل صدقي - البغداد

الملك فلم يلاحظ ذلك ، لأنه كان مشغولا بعبادة التماثيل .

وانتهى الملك من عبادته ، وعاد في عربته إلى قصره ومعه الفتية ، وسارت العربّة بين الناس الراكعين على جانبي الطريق ، حتى إذا أقفل باب القصر ، سُمح للناس بالدخول إلى المعبد لعبادة الأصنام ، لأنه لم يكن مسموحا لهم بالعبادة مع الملك

وجاء الليل ، وخرج الفتيان من القصر ليذهبوا إلى بيوتهم ، ولكنهم لم يفرقوا إلى بيوتهم ، بل التفوا حول الشاب الذي لم يسجد للأصنام ، وقالوا له :
- نريد أن نحدثك الليلة ونحدثنا .

فقال لهم : - تعالوا إلى داري .
فذهبوا معه إلى داره ، وقالوا له :

كان الناس يستعدّون للذهاب إلى المعبد في يوم العيد ، فوقفوا في الطريق ينتظرون موكب الملك ..
وجاء الملك في عربّة فخمة ، تجرّها خيول ، عليها الزينة من الذهب والفضّة ، وكان معه فتیان من أبناء العظماء . ولما رآه الناس ركعوا له ، وسارت عربته بين الناس الراكعين ، حتى وصلت إلى المعبد . وهناك نزل هو وأبناء العظماء .

وكان في المعبد أصنام ، وهي تماثيل من الحجر صُنعت على شكل إنسان ، فلما وصل الملك إليها سجد لها في احترام ، وسجد لها الفتية ، ولكن أحدهم لم يسجد لها ، وظهر عليه أنه لا يحترمها .
ولاحظ الشبان أبناء العظماء أنه لم يسجد معهم ، أمّا

- لماذا لم تسجد اليوم للإله ؟

فقال لهم :

- إننى فكرت فى هذا الإله ، فوجدت أنه تمثال
من الحجر لا يسمع ولا يرى ، ولا ينفع ولا يضر ،
فوجدت أنه من الجنون أن أسجد لحجر .

فقال له أحدهم : - أكفرت بآلهتنا ؟

فقال الشاب :

- كفرت بهذه الحجارة الخرس ، وخرجت إلى
الفضاء ، ورفعت عيني إلى السماء ، وسألت نفسى :
من رفع هذه السماء ، ومن خلق فيها شمسها
وقمرها ، ومن زينها بالنجوم ؟ ونظرت إلى الأرض
وسألت نفسى : من سطحها ؟ ومن أنبت الحب
والعشب والبقل والأشجار فيها ؟ ومن أجرى
الأنهار ، وخلق الجبال ؟ ثم اهتديت إلى أن الذى

خلق هذه الأشياء ، لا بد أن يكون أكبر منها ، وأنه
قوة عظيمة لا نراها ، فتوجهت إلى هذه القوة
أعبدتها .

فسكت الشبان قليلا ، ثم قال أحدهم :

- إننى أنا أيضا عرفت أن هذه الحجارة التى
يعبدها قومنا لا قيمة لها ، لأننى رأيت الناس ينحوتونها
بأيديهم ، ثم ينصبونها فى المعبد ويسجدون لها ،
وفكرت فى نفسى ، فوجدت أننى كنت جنيئا فى
بطن أمى ، ثم أصبحت صغيرا أكل وأشرب ، وأسمع
وأرى ، ثم صرت شابا وكبر عقلى ، فصرت أميز
النافع من الضار ، وفكرت فىمن خلقنى ، فاهتديت
إلى أن من خلقنى لا بد أن يكون عظيما قادرا ،
فأخذت أعبده وأصلى لـه ،

وَأَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي دُعَائِي .

استمرَّ الشُّبَّانُ يَتَحَدَّثُونَ حَتَّى آمَنُوا جَمِيعًا وَقَالُوا :

« رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ

دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا » .

٢

صَارَ الْفَتَيَانُ يَجْتَمِعُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ أَحَدِهِمْ ،

يُصَلُّونَ لِلَّهِ وَيَعْبُدُونَهُ ، وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ دَخَلَ عَلَيْهِمُ

أَحَدُ أَعْوَانِ الْمَلِكِ ، فَرَأَاهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ ، فَسَأَلَهُمْ

عَمَّا يَفْعَلُونَ ، فَقَالُوا لَهُ :

- إِنَّ قَوْمَنَا يَعْبُدُونَ حِجَارَةً ، وَنَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَاتْرَكْ دِينَ

قَوْمِكَ ، وَادْخُلْ فِي دِينِنَا الْقَوِيمِ .

فَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ :

- إِنِّي وَجَدْتُ آبَائِي عَلَى هَذَا الدِّينِ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ

أَنْ أَتْرِكَ مَا وَجَدْتُ آبَائِي عَلَيْهِ .

فَاسْتَمَرَ الْفَتَيَانُ يَحَاوِلُونَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ فِي دِينِهِمْ

، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ ، وَتَرَكَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ . فَلَمَّا

دَخَلَ عَلَيْهِ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ يَلْتَفُونَ حَوْلَهُ قَدْ

تَرَكَوا دِينَهُ ، وَدَخَلُوا فِي دِينٍ جَدِيدٍ ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ ،

وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُعَذِّبَهُمْ ، لِتَرْكِهِمْ دِينَهُ .

عَلِمَ الْفَتَيَانُ أَنَّ الرَّجُلَ سَيَذْهَبُ إِلَى الْمَلِكِ يَشْكُوهُمْ

.. وَأَنَّ الْمَلِكَ سَيَغْضَبُ عَلَيْهِمْ ، وَيَقْبِضُ عَلَيْهِمْ

لِيُعَذِّبَهُمْ أَوْ يَقْتُلَهُمْ ، فَتَشَاوَرُوا فِي الْأَمْرِ ، فَرَأَوْا أَنْ

يَهْرُبُوا مِنْ بِلَدِ الْمَلِكِ .

رَكِبَ الْفَتَيَانُ خَيْولَهُمْ ، وَسَارُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ

الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ تَرَكَوا خَيْولَهُمْ ، وَمَشَوْا عَلَى أَرْجُلِهِمْ ،

فمروا على صديق لهم فى حقليه ، وكان يعرف
ديانتهم ، ويعبد الله مثلهم ، فقال لهم :

- إلى أين أنتم ذاهبون ؟

فقالوا له :

- علم الملك أننا تركنا دينه ، ولا بد أنه الآن

يبحث عنا ليقتلنا ، فهربنا منه .

فقال الشاب :

- إننى ذاهب معكم .

وانضم الشاب إليهم ، وسار معهم ، وتبعه كلبه ،
واستمروا فى سيرهم حتى جاء الليل ، فبحثوا عن
مكان يبيتون فيه ، فوجدوا فى الجبل كهفا ، فذهبوا
إليه والكلب خلفهم ، فقال أحدهم .

- إننا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنجاحه .

فطردوه ، ولكنه عاد إليهم ، فقال صاحبه :

- دعوه يحرسنا من عدونا .

ودخلوا الغار وناموا ، ونام الكلب على باب
الغار ، وبسط ذراعيه .

٣

خرج الملك فى حرسه وجنوده ، يبحث عن
الفتيان الذين تركوا دينه ، ودخلوا فى دين آخر ،
حتى اهتدى إلى الكهف الذى لجأوا إليه ، فنظر
فوجد الشمس تشرق على باب الكهف ، فلا تدخله
أشعتها ، ويبقى مظلم كما كان ، فاستغرب وأحس
بخوف ، فأمر رجاله بالدخول ، فأحسوا بالرعب ،
ولم يستطع أحد منهم أن يدخل . وقال أحدهم
للملك :

- إنك تريد أن تقتلهم .

فقال الملك :

- نعم .

فقال الرجل :

- سُدَّ عليهم باب الكهف ، واطرَكهم فيه يموتون عطشًا وجوعًا . فأعجب الملك بالفكرة ، وأمر ببناء باب الكهف . وقال في سخرية :

- إنَّ كان لهم إلهٌ غيرُ آلهتنا فليُخرجهم من هذا الكهف !

٤

استيقظ الفتيان من نومهم ، فوجد كلُّ منهما جسمه موجدًا من النوم ، وسأل أحدهم : كم مكثنا في هذا الكهف ؟

فقالوا له : مكثنا يومًا أو بعضَ يوم .

وشعروا بالجوع فقالوا : إننا جِيع .

فقال أحدهم :

- أذهبُ فأشترى لكم طعامًا من السوق .

- قد يعثرُ عليك الملك ، ويُقبضُ عليك .

- سأذهبُ دونَ أن يُحسَّ بي أحد .

وقام الشابُّ ، فلما مرَّ بباب الكهف رأى حجارة مبنية ، ولم يجد إلا فتحةً صغيرةً يدخلُ منها النور ، فنقَضَ الحجارةَ وخرج ، وسار في الطريق وهو يتلفت ، خوفًا أن يقابله أحد رجال الملك ، فيقبض عليه .

ولكنه رأى الطريقَ يختلفُ عن الطريق الذي سار فيه ، ومر بمواضع لم يكن يعرفها ، ووصل إلى باب المدينة ، فوجدته يختلفُ عن الباب الذي يعرفه ، ففر عنيته ، وضرب رأسه بيده ، فقد حسب أنه يحلُم .

وتلفت حوله وهو يعجب في نفسه كيف تغيرت الدنيا في ليلة واحدة .

ومر على الحوانيت فوجدتها غير التي يعرفها ، ونظر في وجوه الناس ، فلم يعرف أحد . ووقف يفكر فيما جرى ، فلم يهتد إلى شيء .

وأخرج قطعة نقود فضية ، وذهب إلى خباز وأعطاه إياها ، وطلب منه أن يعطيه خبزا ، فأخذ الخباز قطعة النقود ، وجعل يقلبها في حيرة ، فقال الشاب :

- ماذا جرى ؟

- هذه القطعة الفضية !

- ماذا بها ؟ قطعة من النقود عليها صورة الملك .

فقال الخباز : صورة أي ملك ؟

- ملك هذه البلاد ، إن هذه القطعة اشتريت

بمثلها طعاما بالأمس .

- لا بد أنك قد وجدت كنزا ، فهذه قطعة نقود قديمة جدا ، وليست من نقود هذا الزمان .

- إنني لم أترك هذه المدينة إلا أمس .

فقال له الخباز :

- لا تسخر مني ، ولن أتركك ، سأسلمك للشرطي ليسلمك للملك .

فقال الشاب :

- إن الملك سيقتلني ، لأنني تركت دينه ، تركت عبادة الأصنام ، وعبدت الله وحده لا شريك له .

فقال الخباز :

- لا تحاول أن تخدعني . إننا لا نعبد الأصنام ، وإن ملكنا لا يقتل الذين يعبدون الله .

ثم نادى الشرطي ، وأراه قطعة النقود ، فنظر

الشرطى إلى الشاب ، وقال له : هيا معى إلى الملك ،
لأن هذه نقود أثرية ، ولا بد من تسليمها للملك .
وسار الشاب وهو مبهور إلى قصر الملك ، فلما
دخل وجد ملكا آخر لا يشبه الملك الذى هربوا منه
، وكان الملك عادلا ، فقال :

- ما قصة هذا الفتى ؟

فقال الشرطى : لقد وجد كنزا !

فقال الشاب :

- أنا من أهل هذه المدينة ، ولم أجد كنزا فهذه

نقودى .

فقال له الملك :

- اذكر أسماء من تعرفهم من هذه المدينة .

فراح الشاب يذكر أسماء من يعرفهم ، فلم يعرفوا

منهم رجلا واحدا .

فقال الشاب :

- خرجت بالأمس هاربا من الملك دقيانوس .

فقال الملك فى عجب :

- الملك دقيانوس ؟ لقد مات من أكثر من ثلاثمائة

سنة .

فقال الشاب :

- أكثر من ثلاثمائة سنة ! إننى تركته بالأمس

فقط .

فقال الملك : هذا غير معقول .

فأخرج الشاب النقود التى معه ، وقدمها إلى

الملك ، وقال :

- هذه النقود عليها رسمه ، وقد اشتريت بها

بالأمس طعاما .

فأخذ الملك النقود ، وراح يقلبها بين يديه

ويقول :

- إن أمرَك عجيب ، هذا النقدُ من ثلاثمائة سنة !

فقال الشاب :

- وهل نِمنا في الكهفِ ثلاثمائة سنة ؟!

فقال الملك : نِمتم ؟ مَنْ الذين ناموا .

فقال الشاب :

- أنا وأصحابي الذين فرُّوا من الملكِ دِقيانوس .

فقال الملك :

- إنني لا أستطيع أن أصدِّقَ ما تقول ؟

- إذا كنت لا تصدِّقني ، تعال واسأل أصحابي .

وركبَ الملكُ ورجاله ، وركبَ الشابُ معهم ،
وساروا ، فلما اقتربوا من الكهف ، قال الشابُ

للملك ومن معه :

- يا قوم ، إنني أخافُ أن أصحابي يُحسُّونَ وقعَ

أرجل الخيل ، فيظنونُ أن دِقيانوس جاءَ يطلبُهم ،
فيموتون من الخوف ، فقفوا قليلا حتى أدخل إليهم
وأخبرهم الخبر .

فوقفَ الملكُ ومن معه ، وذهبَ الشابُ إلى
أصحابه ، فلما رأوه قالوا له :

- الحمدُ لله الذي أنقذك من دِقيانوس .

فقال الشاب :

- دعونا من دِقيانوس ، كم مكثتم في الكهف ؟

قالوا : لبِشنا يوماً أو بعضَ يوم .

قال :

- بل لبِشتم ثلاثمائة سنة وتسع سنوات ، وقد
مرَّت عليكم تلك السنين وأنتم نيام ، وقد مات
دِقيانوس وتغيَّرت الدنيا ، وأصبحت غيرَ الدنيا .

عندَ ذلك أحسَّ الفتيانُ بالنوم فناموا ، وانتظر

الملك ، وطال انتظاره ، ثم ذهب يبحث عن
الشباب ، فوجده وأصحابه قد ماتوا .

فقال الملك :

- سبحان الله ! هذه معجزة عظيمة ، وقد أَرانا
الله أنه قادر على أن يحيى هؤلاء الشباب بعد أكثر
من ثلاثمائة سنة ، وهو قادر على أن يحيى الناس جميعا
بعد أن يكونوا ترابا .

« قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذنَّ عليهم

مَسْجِدًا » .